التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف

في الدعوة الإسلامية

د . السيد عبد الفتاح عفيفي

الجزء الأول ـ الإطار المنهجي للدراسة :

أولاً : مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

تبرز المشكلة بشكل واضح في موجات العنف والتطرف التي تتبناها بعض الجماعات الإسلامية في تصورها الخاص نحو الدعوة الإسلامية ، وممارسة العنف في أقصى درجاته إلى حد استباحة القتل أو تدمير بعض المنشآت ــ تحقيقاً لتوجهاتها نحو إحداث التغيير بالقوة والعنف ، ومهاجمة السيارات التي تنقل السائحين والأجانب لزيارة المعالم السياحية والاعتداء المسلح عليهم ـ مما أدى إلى مواجهات مسلحة مع أعضاء تلك الجماعات من قبل أجهزة الأمن في عدد من الدول الإسلامية مثل مصر ، الجزائر في الآونة الأخيرة .

وعلى الرغم من أن المجتمع المصري قد عرف بحضارته القديمة ومعرفته الرائدة للزراعة، واتسم المصري بالتدين ـ فقد ظهرت في المجتمع المصري بصفة خاصة خلال العقدين الماضيين تيارات العنف والتطرف والاغتيالات لعدد من الشخصيات العامة على أيدي شباب تلك الجماعات ، مما أثار التساؤلات لدى العامة والخاصة من أفراد المجتمع ، وليس ببعيد اغتيال الدكتور / محمد الذهبي والدكتور / رفعت المحجوب ، والدكتور / فرج فوده ، ومحاولة اغتيال اللواء / حسن أبو باشا ، مكرم محمد أحمد، وصفوت الشريف .

وتكمن قضية الخلاف الجوهرية بين التيار الإسلامي المتنامي في مصر وبين الدولة في سعي هذا التيار إلى التغيير بالقوة بعد أن أعلنت الدولة رفضها لمقولة "الإسلام دين ودولة" تحت دعاوي كثيرة وإصرارها على عدم السماح بإنشاء حزب سياسي للإخوان المسلمين ، وتمسكها بالقوانين الوضعية دون تطبيق كامل للشريعة الإسلامية التي تقوم على الكتاب والسنة ـ وفي إيجاز شديد فهو خلاف بين التيار الإسلامي والعلمانية .

ولعل ذروة العنف في سلسلة الاغتيالات وأسلوب المواجهة المسلحة بين تلك الجماعات في مصر ، قد تجسد في حادث المنصة واغتيال أنور السادات في عام ١٩٨١ م ، حيث تتابعت أعمال العنف والتخطيط لها داخل تلك الجماعات رغم انقسام بعضها إلى فصائل وجماعات منشقة متعددة داخل التيار الإسلامي المتشدد ، لكنها تتفق جميعاً في

الجنوح إلى التطرف والمبالغة سواء بتكفير المجتمع أو الاغتراب عنه أو استخدام العنف المسلح.

وعلى الرغم من أن المجتمع المصري في أعقاب النكسة العسكرية عام ١٩٦٧ م قد عانى من الإحساس بالهوان ، إلا أنه قد واكب عملية تصحيح مسار الأمة تنامي التيار الإسلامي في مصر خاصة بين الشباب ـ بل وشجع النظام السياسي هذا التيار لضرب التيارات اليسارية التي سعت بشدة إلى إبراز دور فاعل لها في الحياة الاجتماعية والسياسية بالمجتمع .

ثم جاء النصر من عند الله في حرب رمضان ١٣٩٣ هـ على العدو الصهيوني ليعزز فينا وعد الحق بنصره للمؤمنين ، وليؤكد ما شاع في الشارع المصري بعد النكسة بأن النصر قريب بعد العودة إلى الله .

ولكن وجه الغرابة الذي يمثل مشكلة الدراسة الرئيسية هو ذلك التناقض الصارخ بين ما يدعونا إليه الدين الإسلامي الحنيف من ناحية ، وتلك الممارسات المتطرفة لبعض أعضاء الجماعات الإسلامية من ناحية أخرى ، رغم علمهم بأن الإسلام يدعونا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة دون مبالغة أو تطرف فالإسلام هو دين المحبة والرحمة – وهل غايتهم في فرض التغيير بالقوة يبرر وسائلهم التي يمارسونها ؟

ويتفرع عن المشكلة الرئيسية عدة تساؤلات عن هؤلاء الشباب الذين اندمجوا في زمرة تلك الجماعات – هل هم ضحايا أم مذنبون ؟ وإذا كانوا ضحايا – فهم ضحايا من ؟ الدولة التي شجعت التيار الإسلامي في البداية ، ثم تراجعت تخوفاً من تسلطه وانتشاره نحو الحكم – أم هم مذنبون ؟

وهل ساعدت أساليب التحاور الخاطئة مع شباب تلك الجماعات ، وتبادل العنف بالعنف ووسائل الإعلام المرئية على تحدي مشاعر هؤلاء الشباب ، إضافة إلى مشكلات البطالة بين خريجي الجماعات والمعاهد العليا والمتوسطة ، وارتفاع الأسعار والتضخم ، التي هيأت المسرح السياسي والاجتماعي لمزيد من العنف والتطرف والعداء نحو السلطة ، ووقوع هؤلاء الشباب فريسة سهلة لاستقطاب أصحاب المصالح في الداخل والخارج لضرب الأمن والاستقرار في المجتمع المصري ، إزاء تعثر الدولة في حل تلك المشكلات وشعور شباب الخريجين بالاغتراب والإحباط ؟.

ويبقي تساؤل أخير هل من حل لتلك المشكلة يضع كل تلك الاعتبارات في الحسبان وسط فهم واع للمتغيرات الثقافية والاجتماعية التي طرأت علي المجتمع المصري والعالمي ، يجعل من الشباب طاقة خلاقة مبدعة نستثمرها في بناء الأمة بدلاً من أن تكون معول هدم ضدها ، ولتتكاتف الدولة مع الشباب – كل الشباب – في ممارسة مهام الدعوة الإسلامية كما جاءت في الكتاب والسنة ؟

ثانياً : مفاهيم الدراسة :-

تشتمل هذه الدراسة على ثلاثة مفاهيم محورية ، يجدر توضيحها من وجهة نظر الباحث حتى يمكن معرفة المقصود بها دون لبس أو غموض - وهي المفاهيم التالية :

التوجيه الإسلامي ، والشباب ، والتطرف في الدعوة الإسلامية ، وبإيجاز شديد نحدد كل مفهوم على حدة فيما يلي :

١ - التوجيه الإسلامي :

يقصد به توجيه الشباب للتأسي بسيرة السلف الصالح في الدعوة للعقيدة فكراً وسلوكاً على ضوء مصادرها الأساسية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

على أن تتم عملية التصحيح من خلال الحوار المباشر والمناقشة الواعية بصدر رحب مع الشباب الذين يقومون بالدعوة الإسلامية بأساليب متطرفة ، وذلك بأن يتولى علماء العلوم الشرعية والفقهية تصحيح المفاهيم التي اختلطت على هؤلاء الشباب دون مصادرة مسبقة لأفكارهم ، حتى يصلوا بهم إلى حد الإقناع والاقتناع بالأسلوب الأمثل للدعوة الإسلامية .

٢ - الشباب :

يصنف العلماء الشباب وفقاً لثلاثة معايير هي : المعيار الزمني ، والمعيار الاجتماعي والنفسي، وهو الذي يحدد المفهوم طبقاً للقيام بأدوار اجتماعية معينة في البناء الاجتماعي والحالة النفسية التي تصاحب مرحلة عمرية معينة تتسم بالحيوية والقدرة على التعلم والمرونة وغيرها ، والمعيار البيولوجي يربط بين اكتمال البناء العضوي لجسم الإنسان كالغدد والعضلات .

وقد رأيت الأخذ بالمعيار الزمني للشباب الذي يحدد مفهوم الشباب بمرحلة عمرية تتراوح ما بين ١٥ - ٣٠ سنة[١] بوصف هذه المرحلة حجر الزاوية في كل التغيرات الأخرى التي تطرأ على الفرد .

٣ - التطرف في الدعوة الإسلامية :

يقصد بهذا المفهوم استباحة استخدام أساليب العنف والتخريب والقتل لكل من يعوق تقدم تلك الجماعات نحو أهدافها في تحقيق التغيير بالقوة - مما يشوه صورة الإسلام والمسلمين بل ويسيء إليهم ويخرج عن أصول الدعوة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة .

---

(١) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : المسح الاجتماعي الشامل للمجتمع المصري (١٩٥٢ - ١٩٨٠م) ، القاهرة ، بدون ناشر ، ص ١٨١.

ثالثاً : منهج الدراسة :

يعتبر المنهج العلمي هو الإطار الموجه لمسار الدراسة أو البحث لتحقيق أهدافه واختيار فروضه أو تساؤلاته ، وعلى ذلك فهو طريقة علمية منظمة لتقصي الوقائع(1) .

وتقوم هذه الدراسة على استخدام المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الملائم لطبيعة الدراسة وتساؤلاتها .

رابعاً : البحوث والدراسات السابقة :

تعتبر دراسة التراث السابق من الدراسات والبحوث المتعلقة بمشكلة الدراسة مطلباً أساسياً للباحث لتعميق فهمه وإلمامه بأبعاد المشكلة ، وجوانبها المختلفة إلى جانب ضمان الابتعاد عن التكرار ، والبحث والدراسة في جوانب لم تنل الاهتمام الكافي من البحوث السابقة ، حتى يتحقق دائماً للعلم من خلال التراكم المعرفي ، والتحليل الدقيق للجوانب الغامضة دوام الازدهار والنماء.

وعلى الرغم من أن مشكلة الدراسة يندر وجود بحوث ودراسات سابقة مماثلة تماماً لموضوعها بشكله الراهن ، إلا أنه بمراجعة التراث المتعلق بالدراسات الإسلامية، والدراسات السوسيولوجية تبين وجود عدد من الدراسات والبحوث ، وإن افتقرت إلى التكامل أو المزاوجة في تناول موضوعاتها بين المنظور الإسلامي ورؤية علم الاجتماع للعمل في مجالات الدعوة الإسلامية باستثناء دراسة واحدة ، هي دراسة زكي محمد إسماعيل ، بعنوان علم الاجتماع وتطبيقاته في مجال الدعوة الإسلامية ، مما يعكس لنا الحاجة إلى إبراز التوجه الإسلامي .

وفيما يلي عرض لتلك البحوث والدراسات :

١ - بحث جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٠ م - بعنوان - الشباب المصري في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وقد طبق البحث على عينة من الشباب قوامها عشرة آلاف شاب من فئات الطلاب ، والعمال والفلاحين ، والحرفيين ، وأصحاب المهن الفنية العالية ، والموظفين وربات البيوت - وتراوحت أعمارهم ما بين ١٨ - ٣٠ سنة .

وقد طبق الباحثون استمارة مقابلة ضمت (١٢١) سؤالاً تناولت إلى جانب البيانات الأساسية للمبحوثين دراسة القيم والاتجاهات السلوكية ، والاتجاهات الدينية ، والمشاركة

---

(1) Jahan , Gultuny : Theory and Methods of social Research . London George Allen , unwin, 1967 . p . 148.

الاجتماعية ، والمشاركة السياسية ، واتجاهات الشباب نحو وسائل الإعلام ودورها في تناول الإعلام الشبابي(١) .

٢ - بحث عبد الله غلوم حسين ، عبد الرءوف عبد العزيز الجرداوي ، بعنوان : اتجاهات الشباب ومشكلاته - "الكويت - دراسة تطبيقية" وقد تناول هذا البحث في إطاره النظري عرضاً لاحتياجات النمو في مرحلة الشباب والمشكلات المصاحبة لنمو الشباب مثل التمرد على السلطة ، والعنف والثورة ، والانحرافات السلوكية والإغتراب(٢) .

كما ناقش وضع الشباب العربي في مواجهة الاغتراب ، وأوضاع الشباب في الكويت والخليج العربي ، وعرض البحث نتائج الدراسة الميدانية التي طبقها باستخدام استمارة بحث شملت (٧١) سؤالاً تم تطبيقها على عينة عشوائية من الشباب الكويتي ممن تتراوح أعمارهم بين ١٨ - ٢٤ سنة ، وقد بلغ حجم العينة ٧٣ حالة .

وقد أسفر البحث عن اتجاهات إيجابية من المبحوثين نحو الأسرة والمؤسسات التعليمية والمؤسسات الدستورية ، والصحافة ، والتعاون العربي والخليجي واتجاهات سلبية نحو العمل ونحو مراكز الشباب والمكانة الاجتماعية وارتباطها بالاعتبارات الطبقية والعائلية ، وظهور المشكلات السلوكية بين الشباب وعجز المدرسة عن حل كثير منها ، ونقص مجالات الترويح .

٣ - دراسة زكي محمد إسماعيل بعنوان : علم الاجتماع الإسلامي وتطبيقاته الميدانية في مجال الدعوة - دراسة في علم الاجتماع والأنثربولوجيا - وقد أكدت الدراسة الحاجة إلى وجود علم الاجتماع الإسلامي ، حيث يعني بدراسة النظم والظواهر الاجتماعية من خلال منظورين متميزين عن علم الاجتماع العام وهما المنظور البنائي أو المجتمعي الذي يضع في حسبانه نوعية التكوين البنائي للمجتمع موضع الدراسة والعلاقات الاجتماعية في إطارها الداخلي بين المسلمين وبعضهم البعض ، أو في إطارها الخارجي بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى - وعلاقة الظاهرة الاجتماعية موضوع الدراسة بغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى ، أما المنظور الثاني فهو المنظور القيمي أو العقائدي . لإبراز مدى اتساق النظم والوقائع الاجتماعية مع مبادئ الشريعة الإسلامية ، ويفرق الباحث بين علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع الإسلامي ، كما يفرق بين علم الاجتماع الإسلامي

---

(١) جامعة الإسكندرية : الشباب المصري في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، الإسكندرية ، بدون ناشر ، ١٩٨٠ م .

(٢) عبد الله غلوم حسين - عبد الرءوف عبد العزيز الجرداوي : اتجاهات الشباب ومشكلاته - "الكويت -دراسة تطبيقية" في - دراسات وقضايا من المجتمع العربي الخليجي ، المنامة ، مكتب المتابعة لمجلس وزراء العمل والشئون الاجتماعية بالدول العربية الخليجية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧ - ٨٨.

وعلم الاجتماع الديني ، مؤكداً أن علم الاجتماع الديني يهتم بدراسة الأنساق الدينية السائدة في مختلف أنواع المجتمعات البدائية ، والتقليدية والحديثة ، على اختلاف معتقداتها الدينية وأديانها السماوية وغيرها .

بينما علم الاجتماع الإسلامي هو العلم الذي يدرس النظم والظواهر الاجتماعية في مجتمع إسلامي ومن منطلق قيمي إسلامي ، ويشير الباحث إلى أن دراسة علم الاجتماع الإسلامي تساعدنا في الاستفادة بنظرياته ونتائجه وتعميماته في مجال الدعوة الإسلامية والوعظ والإرشاد كميدان للتطبيق العلمي ، حيث يتولى دعاة المسلمين ، وأولو الأمر من حكام المسلمين وضع توجيهاتها ونتائجها الإمبريقية موضع التنفيذ مما يؤدي إلى نجاح جهود الدعوة الإسلامية وتقبلها ومساندتها(١) .

٤ – دراسة المجالس القومية المتخصصة بعنوان : تربية المواطن السوي ومواجهة الانحراف والتطرف ، وقد أشارت الدراسة إلى أن التطرف ظاهرة قديمة قدم الإنسان على الأرض ، ولكنه أصبح سمة العصر في النصف الثاني من القرن العشرين في مختلف دول العالم، وتشير الدراسة إلى أن المجتمع المصري يمر الآن بفترة حرجة من حياته تتسم – عند البعض – باهتزاز القيم واضطراب المعايير الاجتماعية والأخلاقية ، والجنوح إلى التطرف .

وتفسر هذه الدراسة دوافع وعوامل الا نحراف والتطرف في المجتمع المصري بأنها نتاج للتغيرات الكثيرة والمتلاحقة فيه سواء كانت تلك المتغيرات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مما هيأ الفرصة للتطرف .

وتشير إلى تلك التغيرات بالآثار الناجمة عن الحروب الأربعة التي استنزفت الموارد في ظل تدهور خدمات البنية الأساسية والإسكان والمرافق والخدمات والإنتاج ، وتضاؤل دور الأسرة في تنشئة الأبناء نتيجة لانصراف الأب للعمل في الداخل أو الخارج ، وخروج كثير من الأمهات إلى العمل ، وقصور جهود الدعاة ، مشكلات البطالة بين الشباب وتسلل بعض المغرضين لمجال الدعوة.

وتعرض الدراسة لمقومات التنشئة السليمة والشخصية السوية ، وتبرز حاجة الشباب إلى إدراك الفهم الصحيح للإسلام وتوضيح القضايا الخلافية لهم والتي تثيرهم على المجتمع وفي مقدمتها الشريعة الإسلامية ، وأساليب الدعوة والتربية الدينية وتأثير أجهزة الإعلام . وتبرر الدراسة عدم عقلانية مطالب الشباب المتطرفين حول هذه القضايا ، بأن الدستور المصري ينص على أن الإسلام هو دين الدولة ، ومبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر

---

(١) زكي محمد إسماعيل : علم الاجتماع الإسلامي وتطبيقاته الميدانية في مجال الدعوة – في – مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، والرياض ، ع ٧ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، ص ٢٩٥ – ٣١٨.

الرئيسي للتشريع – وأن كافة القوانين (المدني ، العقوبات ، والمرافعات والإجراءات الجنائية، والأحوال الشخصية) كلها تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية .

وأخيراً تنتهي الدراسة بعرض لبعض التوصيات توكد على ضرورة ممارسة الأزهر لدور أكبر في مجال الدعوة والفتوى ، ودعم مجمع البحوث الإسلامية ، وعودة هيئة كبار العلماء والدعوة إلى الحوار مع الجماعات المتطرفة ، وتدعيم دور الأسرة في رعاية الأبناء والاهتمام بالتربية الدينية والاجتماعية على مدار مختلف المراحل التعليمية(1) .

وقد أفادت البحوث والدراسات السابقة الباحث في فهم مشكلة الدراسة الحالية وصياغة تساؤلاتها – لتكون إضافة جديدة تضاف إلى رصيد تلك الدراسات سعياً لفهم أعمق لكيفية التغلب عليها ومواجهتها .

الجزء الثاني : الإطار النظري للدراسة :

إذا أمعنا النظر في التراث النظري لمشكلة الدراسة لوجدناه قد برز في جانبين من الدراسات كل منهما يغطي بعداً هاماً ، فالجانب الأول – يغطي قضية التوجيه الإسلامي في نشر الدعوة الإسلامية ، ثم يوضح معنى الدعوة لغة واصطلاحاً كما يتناول كيفية الدعوة للإسلام ومشكلات الدعوة .

أما الجانب الثاني – فقد تناول قضية الفهم الخاطيء للدين لدى بعض الشباب وعلاقته بالتطرف ، كما تناول أحوال الشباب المصري في ظل المتغيرات المحيطة به محلياً وعالمياً ، والتحول من الإحياء الإسلامي إلى التطرف ، ثم عرض لأساليب التوجية الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف .

وقد حرص الباحث على تناول التراث النظري بمنظور نقدي ، يقوم على الموضوعية والتحليل العلمي دون تقليل من جهد أحد أو القيمة العلمية للاجتهاد في تحليل القضايا المتصلة بمشكلة الدراسة ممن سبقه في تناولها من الباحثين .

وفي إيجاز شديد نعرض لتلك الموضوعات عى النحو التالي :

١– التوجيه الإسلامي في نشر الدعوة الإسلامية :

ينبثق هذا التوجية من المصدرين الأساسيين للعقيدة الإسلامية وهما : القرآن الكريم والسنة المطهرة ، بوصفهما المنبع والمنهل الرئيسى للعقيدة والأصل الذي يحسم أي قضايا خلافية قد تثور بين الناس وبذلك تكون هي الفيصل الحاسم لما يدور من جدل حولها .

(١) المجالس القومية المتخصصة : تربية المواطن السوي لمواجهة الانحراف والتطرف ، القاهرة ، المجلس القومي للخدمات والتنمية الاجتماعية، الدورة الحادية عشرة ، ١٩٩٠ ، ص ١٧٣ – ١٨٤.

ومن ناحية أخرى فإن القرآن والسنّة لم يكتفيا بإسداء النصيحة وعرض العظة والعبرة ليتذكر أولو الألباب ، وإنما تخطت هذا الأمر من حدود التعريف ، والإبلاغ ، والتوعية والتبصير إلى الفعل الاجتماعي (Social Action) والدعوة إليه بالتوجيه للعمل والتصدي للخطأ بمواجهته بتصحيحه وتقويمه.

كذلك فإن "المتبع لأبعاد التحليل الاجتماعي في القرآن يستطيع أن يقف على أكثر من أربعمائة من ميادين المعرفة الاجتماعية ، يشتق منها الباحث أفكاراً وقضايا عامة يمكن أن توجه اهتماماته الامبريقية المختلفة ، وتشكل في جملتها إطاراً تصورياً ملائماً لدراسة الواقع"[1] وللتوجيه الإسلامي أساليبه في نشر الدعوة سنتناولها فيما بعد .

٢- معنى الدعوة لغة واصطلاحاً :

للدعوة لغة ، معان متعددة يمكن إيضاح أبرزها فيما يأتي :

أ - الدعوة للشيء بمعنى الحث على قصده .

ب - الدعوة بمعنى النداء فيقال دعا فلان فلاناً ، إذا ناداه ، ودعوت الرجل إذا صحت به واستدعيته .

جـ - الدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقاً أو باطلا - مثلاً قول الحق تبارك وتعالى عن يوسف عليه السلام ﴿**قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه**﴾[2] .

د - المحاولة القولية أو الفعلية والعملية لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة[3] .

هـ - الابتهال والسؤال : جاء في المصباح المنير ، في مادة "دعا" - دعوت الله دعاء أي أبتهل إليه بالسؤال ، وأرغب فيما عنده من الخير .

ويطلق لفظ الداعية على من يدعو إلى هدى أو ضلال ، ويؤكد ذلك قول الرسول عليه السلام: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"[4] .

---

(١) بشارات علي : أسس علم الاجتماع وقضاياه من منظور قرآني إسلامي - عرض وتحليل محمد علي محمد في مجالات علم الاجتماع المعاصر (أسس نظرية ودراسات واقعية) الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، ص ١٦-١٧.

(٢) سورة يوسف : آية ٣٣ .

(٣) المصباح المنير - في مادة دعا .

(٤) رواه مسلم ، وأبو داود ، وكتاب السنّة عن أبي هريرة رضي الله عنه .

فكل داع يتميز بإضافته إلى ما يدعو إليه ، ويقول الإمام ابن القيم : الدعاة جمـع داع كقاض وقضاه ورام ورماة ، والدعوة الإسلامية تعـني الدعـوة إلى ا لله بدعـوة النـاس بـالقول والعمل إلى الإسلام وإلى تطبيق منهجه واعتناق عقيدته وتنفيذ - شريعته [1] .

٣ - كيفية الدعوة للإسلام ومشكلات الدعوة :

دعوة الناس إلى الإسلام ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكـر ، واجـب إسـلامي والدعوة إلى الإسلام هي المهمة الأساسية لكل داعية .

وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[2] .

وقوله تعالى : **﴿ومن أحسن قولا ممن دعـا إلى ا لله وعمـل صالحـاً وقـال إنـني مـن المسلمين﴾**[3] .

كما دعت السنّة المطهرة إلى واجب الدعـوة والأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : - "يا أيها الناس إن ا لله يقول لكم ، مروا بالمعروف وانهـوا عن المنكر ، قبل أن تدعوا فلا أجيـب لكـم ، وتسـألوني فـلا أعطيكـم ، وتسـتنصروني فـلا أنصركم"[4] .

وللدعوة الناجحة للإسلام أصول وقواعـد يجـب أن يحـرص عليهـا الدعـاة ، فـالدعوة موجهة لكل الناس لهذا فهي تستلزم من الداعية أن يخـاطب كـل فئـة وفقـاً لمستوى قدراتهـا تأسياً بالرسول الكريم ، لقوله عليه الصلاة والسـلام : "نحـن معاشـر الأنبيـاء أمرنـا أن نـنزل الناس منازلهم ، نكلمهم على قدر عقولهم"[5].

والطريق إلى دعوة الناس للإسلام ليس أحـادي الاتجـاه ، ولكنـه ذو مداخـل متعـددة يسلكها الدعاة حيث يبدأون بإثارة اهتمام الناس بالإسلام بما يشعرهم بوجوده كمنهج حيـاة وكإمامة ، وكقيادة، وكريادة وسط التيارات والقوى العالمية المتصارعة .

---

(١) جمعة أمين عبـد العزيز : الدعـوة - قواعـد وأصـول ، ط٢ ، الإسـكندرية ، دار الدعـوة للطبـع والنشـر والتوزيـع ١٤٠٩هـ /١٩٨٩م ، ص ١٤-١٥.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم (١٠٤) .

(٣) سورة فصلت : آية رقم (٣٣) .

(٤) رواة الترمذي - وقال حديث حسن .

(٥) رواه أبو داود .

وتلك خطوة تمهيدية لتهيئة عقول الناس ونفوسهم للتلقي تسبق عملية الإقناع[1] ، ليتحولوا من حالة التلقي إلى حالة الفعل والإيمان سلوكاً وممارسة كمرتبة أعلى .

ولنا في القرآن الكريم والسّنة النبوية عظة وعبرة في الوسائل المناسبة للدعوة الإسلامية إذ تعتمد أساليب الدعوة على الحكمة ، والعظة الحسنة ، ومخاطبة الناس بالأسلوب المناسب لهم – تنفيذاً للتوجية الرباني في قوله تعالي :

﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[2] وقوله جل شأنه : **﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾**[3] .

وتقوم الدعوة الإسلامية على إثارة اهتمام الناس بالإسلام كمنهج حياة من خلال تبني الدعوة للقضايا التي تشغل بالهم وحلها حلاً إسلامياً مناسباً ، مما يزيد من تهيئة عقولهم ومشاعرهم لتقبل المزيد من الفكر الإسلامي ، وهو ما يتفق مع مقولات النظرية العامة للقيمة للعالم رالف بري R.Perry التي ترى إمكانية تعديل القيم والاتجاهات لدى الناس إذا كونا لديهم اهتمامات جديدة[4].

كما يجب أن يتصف المشتغلون بالدعوة بعدد من الصفات التي تؤهلهم لنجاح الدعوة ذاتها ، فالداعية يجب أن يلتزم بالعمل بما يقول ليكون قدوة ومثلاً لقومه لقوله تعالى :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[5] .

كما يجب أن يبتعد الدعاة عن التجريح أو نقد أشخاص بعينهم أو توجيه التهم إليهم أو سبهم إذ نهى النّبي (ص) عن ذلك لقوله "إني لم أبعث سباباً ولا شتاماً" كذلك فإن الإسلام يرفض أن يستعمل بعض أئمة المساجد منابر مساجدهم لأغراض شخصية ، وأن يتناول نقد الدعاة الجوانب الخاصة لبعض الأشخاص العامة لأن هذا من قبيل الغيبة المحرمة والتشهير بالناس .

ومن محظورات الدعوة أن يصدر بعض الدعاة حكمهم على بعض المسلمين بأنهم من أهل النار أو كفار خارجون عن الإسلام ؛ لأنهم لا يلتزمون بالإسلام في أعمالهم الظاهرة ، فليس الدعاة قضاة يصدرون قرارات بالرضا أو الحرمان من رحمة الله ، فالله وحده هو الأعلم بذلك وهو الذي سيتولى محاسبة عباده .

---

(١) فتحي يكن : كيف ندعو إلى الإسلام ؟ ط ٣ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٢) سورة النحل : آية رقم ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٦٩ .

(٤) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ ، ص٢٦ .

(٥) سورة فصلت : آية رقم ٣٣ .

ومسئولية الدعوة المتخصصة في دقائق وتفصيلات الأحكام الشرعية ليست مشاعاً لعامة الناس، وإنما هي من اختصاص العلماء حراس الدين ، لقوله تعالي : ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون**﴾(١) .

بينما يجب على كل مسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ألا يتخطى حدود معرفته اليقينية وأن يترك الأمور المتخصصة والفتوى للعلماء المتخصصين ، "إذ أنه لا بد للآمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يكون عالماً بما يأمر به وما ينكره ، وقد عرف عن معظم هؤلاء أنهم من عوام الناس و لم يصلوا إلى هذه المرتبة التي تؤهلهم أو تمكنهم من فهم الدين أو الاجتهاد فيه . فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما ، كذلك لا بد من العلم بحال المأمور والمنهي ، وهذا لا شك لا يتوافر في هؤلاء الذين حكموا على المجتمع بالكفر وخرجوا على الحاكم المسلم مع أنه يقيم الصلاة ولا ينكر الحكم بما أنزل الله وإن تأخر التطبيق لأسباب يمكن أن تزول يوماً ما"(٢) .

وتواجه الدعوة الإسلامية مشكلات عديدة تعوقها عن تحقيق أهدافها المرجوة نحو فهم صحيح للعقيدة الإسلامية واتخاذها منهاجاً للحياة سلوكاً وممارسة لإقامة المجتمع الإسلامي ، ونشر الدعوة الإسلامية وتوصيلها لغير المسلمين بالحكمة والموعظة الحسنة ولعل من أهم تلك المشكلات ما يلي :

أ- تخوف بعض حكام المسلمين من تطبيق الشريعة الإسلامية في بعض المجتمعات الإسلامية التي تضم أقليات دينية أخرى - تجنباً لاحتمالات حدوث فتنة طائفية بين أبناء الأمة تترقبها تيارات معادية أجنبية لإشعالها وضرب الوحدة الوطنية ، والدعوة إلى الإنقسام وتقسيم البلاد، مما دفعهم إلى تشجيع التيار العلماني لمواجهة تلك الصحوة .

ب- انصراف المسلمين عن أمور الدعوة الإسلامية وانشغالهم بالصراعات المذهبية السائدة بينهم، بين الشيعة والسنة من ناحية ، وبين أبناء المذاهب المختلفة من أهل السنة من ناحية أخرى - مما أدى إلى فرقة المسلمين وتأخرهم والإساءة إلى الدعوة الإسلامية وسمعتها ، وهي براء مما يمارسون من ألوان العنف والبطش خلال صراعهم الدائر .

---

(١) سورة التوبة : آية رقم ١٢٢ .

(٢) عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، القاهرة ، مؤتمر رابطة الجامعاتالإسلامية - عن دور الجامعات الإسلامية في تكوين الدعاة والتنسيق بين كليات الشريعة ، فى الفترة ما بين ٢٠/٢٤ شعبان ١٤٠٧هـ ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ، ص٣١.

جـ - انتشار المفاهيم الخاطئة بين جماعات التيار الإسلامي المتصارعة ، والتي تتعارض مع الفهم الصحيح للدين الإسلامي ، والجنوح إلى التطرف والمبالغة فكراً وممارسة ، وإثارة نفوس الشباب وتعبئتها ضد الدولة وعلماء الدين ، والدعوة إلى الخصومة معهم مما أدى إلى "تشدد بعض الشباب واعتقادهم بتحريم كثير من الأمور مما لم يتفق علماء الأمة على تحريمه إلى حد أن بدأت تنتشر بعض الكتيبات التي تدعو الشباب إلى فكر معين" .

وقد أدى ذلك إلى بلبلة أفكار هؤلاء الشباب وتأثر الكثيرين منهم بتلك الأفكار ، فوقعوا صرعي الأمراض النفسية وأصبحوا حيارى بين ما يقوله العلماء الرسميون وما يروج له هؤلاء الذين دعوا الشباب إلى رفض هؤلاء العلماء وما يقدمونه لهم من فتاوى وأحكام .

ومن أمثلة الكتيبات التي نشرتها بعض الجماعات الإسلامية المتطرفة والحافلة بالمفاهيم الخاطئة عن النظام الإسلامي ، ذلك الكتيب الصادر قبل انتخابات مجلس الشعب في مصر التي تمت بتاريخ ٦ إبريل ١٩٨٧ م - بعنوان : (القول السديد في بيان أن دخول المجلس مناف للتوحيد) ، وهو اختصار لرسالة إبلاغ الحق إلى الخلق ، لفضيلة الشيخ سيد الغباشي) حيث يدعى هذا الكتيب إثبات تحريم الانتخابات والمشاركة في عضوية المجالس التشريعية عن طريق هذه الانتخابات ويرون أن ذلك جاهلية ، ويطلقون عليها مجالس الشرك والفسوق والعصيان(١) .

د - غياب التخطيط العلمي لنشر الدعوة الإسلامية ، والحاجة إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة عنها لدى الشباب داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، في الوقت الذي يخطط فيه أعداء الإسلام لضرب الصحوة الإسلامية في الداخل والخارج وتمزيق العالم الإسلامي والتخطيط لإثارة الفتن بين قياداته وشغلها بحروب أهلية طاحنة تستنزف قواها وقدراتها ، توجساً منها وخيفة ، والعمل على وأدها قبل أن يشتد عودها بعد أن بدأوا يتطلعون إلى الإسلام كحل لمشكلاتهم في معية انهيار وسقوط أقنعة الشيوعية والمادية الزائفة وفشلها في إسعاد البشرية كما كانت تدعى(٢) .

هـ - ضعف الموارد المالية المخصصة للدعوة الإسلامية الصحيحة في العالم الإسلامي لتمكينها من نشر الدعوة خارج حدوده في الأمم غير الإسلامية .

---

(١) عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه ، مرجع سابق ، ص ٥ - ٦ .

(٢) السيد عبد الفتاح عفيفي : الشخصية الإسلامية - مقوماتها وأساليب تنميتها في السياق الثقافي المعاصر -دراسة اجتماعية من منظور الثقافة والشخصية ، دراسة مقدمة للمؤتمر الثاني لتوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية في الفترة ما بين ٧ - ١٩٩٣/٨/١٠م بالقاهرة ، الذي ينظمه المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص٢.

و – الحاجة إلى إعادة النظر في الإعداد العلمي للدعاة من خريجي الجامعات الإسلامية وتعميق قدراتهم على حمل أمانة الدعوة الإسلامية بشكل متخصص ، والعناية بدراسة اللغات المختلفة والعلوم الإنسانية الأخرى كعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها إلى جانب العلوم الشرعية المتخصصة بعد أن أظهر واقع الممارسة تدني مستويات الإعداد العلمي والمهني للأجيال الجديدة.

٤ – الفهم الخاطئ للدين لدى الشباب وعلاقته بالتطرف :

يعتبر الفهم الخاطيء للدين لدى الشباب من أخطر العقبات التي تواجه مسيرة الدعوة الإسلامية وتسيء إليها ، ويخالجني الشك في أن شحن الشباب المصري بالتفسيرات الخاطئة المنافية للعقيدة الإسلامية الصحيحة دفع به إلى المغالاة والتطرف واستجابة العنف والقتل – هو أمر مخطط ومقصود من قبل جماعات في الداخل والخارج ، وترتدي عباءة الإسلام لضرب الفكر الإسلامي الصحيح لأهل السنة الذي طالما عهدته مصر على مر العصور .

وفيما يلي عرض موجز لنماذج من صور الفهم الخاطيء لدى بعض الجماعات المتطرفة في فهمها لعدد من القضايا المتصلة بالنظام الإسلامي :

أ – سوء فهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويرون أن تغيير المنكر باليد وبالقوة هو أمر واجب وجوباً عينياً على معشر الشباب ، بل وينسبون هذا الفهم للإمام ابن تيمية في كتابه (مجموع الفتاوى) ، وهو فهم قاصر منهم يسيئون به إلى الإمام المفترى عليه ، إذ يؤكد الرجل على ضرورة الرفق في الدعوة ، ويستدل على ذلك بحديث النبي – ﷺ – "ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، ولا كان العنف في شيء إلا شأنه" .

ويرى الإمام ابن تيمية أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن تتوافر فيه ثلاثة شروط هي: العلم ، والرفق ، والصبر ، العلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه ، والصبر بعده .

أما من يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان أو باليد من غير فقه أو علم وبلا حكمة وصبر ونظر فيما يصلح من ذلك وما لا يصلح ، وما يمكن وما لا يمكن فيصفهم الإمام نفسه بأنهم معتدون في حدود الله مع أنهم يأتون بالأمر والنهي معتقدين أنهم بذلك يطيعون الله ورسوله ، وقد فعل ذلك كثير من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمعتزلة والرافضة(١) .

ب – تنادي بعض الجماعات (الإسلامية) بتكفير المجتمعات الإسلامية الحالية في كثير من الدول الإسلامية لأنها لم تعد ملتزمة على حد زعمهم بالعقيدة الإسلامية ويكفرون الحاكم ويرون الخروج عليه لعدم تطبيق حكم وشرع الله ، وفكرة التكفير وفدت إلى مصر

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ـ عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية في داخل العالم الإسلامي وخارجه مرجع سابق ، ص ٢٨ – ٢٩.

نقلاً عن المفكر الباكستاني المسلم أبو الأعلى المودودي بعد مقتل حسن البنا ، وبالغ في تطويرها سيد قطب . ولهذا يؤمنون باعتزال المجتمع لجاهليته وعودته إلى عصور الجاهلية قبل الإسلام(١) ، وقد تبنى هذا الفكر المتطرف شكري مصطفي ، أمير جماعة التكفير والهجرة وأتباعه ، دون وعي باختلاف السياق الثقافي والديني للمجتمع المصري عن الفكر الهندوكي، والجمع بين المجتمع والدولة في خصومتهما.

جـ – رفض فتاوى علماء الأزهر ومفتي البلاد وما يصدر عن دار الإفتاء الرسمية للبلاد ، والدعاة العاملين بوزارة الأوقاف في مصر ، ووصفهم بأنهم علماء السلطة ، والنظام السياسي ، يطوعون الدين على هوى الحاكم – على حد زعمهم – لهذا فإن فتواهم – في رأي تلك الجماعات (الإسلامية) – غير شرعية ، بل ويتمادى المتطرفون في وصفهم لهؤلاء العلماء بأنهم علماء السوء والضلال ولا أمل فيهم ولا رجاء منهم وقد غضب الله عليهم كأحبار اليهود .

ونحن نتساءل هنا هل من الدين كل هذا التطاول والافتراء والتعميم المطلق وإصدار الأحكام على المسلمين ونسبها إلى رب العباد عزّ وجل ؟

إن هذا التضليل الذي تتحمل أوزاره قيادات وزعامات تلك الجماعات التي تصدر تلك الأحكام مسئولة أمام الله عن النتائج المدمرة في حق الدين والأمة عندما يتلقاها شباب تلك الجماعات على أنها فتاوى وأوامر عليهم طاعتها طاعة مطلقة ، فيستبيحون العنف والقتل والإرهاب لكل من خالفهم في الرأي .

ء – تحريم الجندية والهروب من الخدمة العسكرية ، بدعوى أن الجيش لا يقاتل في سبيل الله ادعاء باطل من تلك الجماعات ؛ ذلك لأن الدفاع عن الوطن أمر إلا هي بنص القرآن الكريم في الدعوة للاستعداد العسكري لقوله تعالى :

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾.

هـ – رفض إقامة الأحزاب السياسية والنظم البرلمانية الحالية ، والمطالبة بنظام الحكم الإسلامي الكامل الذي يقوم على الخلافة ، حيث لا يكون الحكم فيه إلا لمتخصصين في الدين الذين سماهم القرآن الكريم أهل الذكر ، وتستشهد الجماعات (الإسلامية) برفض حكم الأغلبية بقوله تعالى :

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ .

وهنا يظهر سوء فهم تلك الجماعات لهذا النص القرآني ، إن عفويا أو بقصد يعلمه الله ، إذ المقصود بمفهوم "أكثر من في الأرض" في زمن الرسول – ﷺ – هم الكفار(٢) .

---

(١) سيد قطب : معالم في الطريق ، ط ٨ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٢ ، ص ١١ .

(٢) عبد الغفار عزيز : مشكلات الدعوة الإسلامية ، مرجع سابق ، ص ٢٧ وما بعدها .

الذين لا تعنيهم مصلحة الإسلام والمسلمين ، وليس المسلمين الذين أمرهم الله بالتعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان .

وقد كانت أول انتخابات في الإسلام في عهد الرسول الكريم في بيعة العقبة عندما طلب من الأوس والخزرج أن يختاروا بمعرفتهم اثنى عشر نقيباً يمثلونهم فاختاروا ثلاثة من قبيلة الأوس ، وتسعة من الخزرج ، بنسبة عدد أفراد كل قبيلة .

٥- الشباب المصري في ظل المتغيرات، والتحول من الإحياء الإسلامي إلى التطرف:

تمثل شريحة الشباب المصري الشريحة العريضة في التركيب الديموجرافي للمجتمع ، وهو نفس الحال في معظم مجتمعات العالم الثالث . وقد وصلت نسبة الشباب في مصر نحو ٥٨٪ من سكان المجتمع – تتراوح أعمارهم بين ١٥ – ٣٠ سنة والعناية بدراسة الشباب ودوره في المجتمع لا ترجع إلى الثقل الديموجرافي له فحسب ، بل إلى قدرته الفعالة على توظيف طاقاته الهائلة في تنمية المجتمع وتطويره إذا نجحت الدولة في استثمارها والاستفادة منها – إذ أن شريحة الشباب هي الشريحة التي تتطلع إلى مشاركة الكبار لمسئولياتهم وإشباع احتياجاتهم المختلفة في فرص عمل ملائمة ، ودخول ميسرة ، ومسكن مناسب .

ونجاح المجتمع في تحقيق متطلبات الشباب يؤدي إلى حالة من الاستقرار والتنمية وعلى العكس فإن فشل أو عجز النظام السياسي عن تحقيق تلك المطالب يجعل المجتمع – حسبما يذهب علماء الاجتماع السياسي – مهدداً بانفجارات اجتماعية عديدة قد تحمل قدراً من الفوضى(١) ، والقطعية أو الخصومة بين الشباب والمجتمع وهي تؤدي إلى التمزق والتدمير لكل منهما .

وقد كشف البحث في قضية الشباب أن لهم حضورهم في المعادلة الجيلية أو الاجتماعية ، وأن لهم دورهم في مراحل التاريخ المختلفة في صناعة الفاعلية والحركة فيه .

ففي مصر كان لشباب الفلاحين الفضل في التنمية الزراعية منذ عصر محمد علي وشق الترع والقنوات واستزراع الأرض ، كما كان لهم أيضاً دورهم البارز في دعم الثورات السياسية منذ ثورة عرابي وثورة ١٩١٩ ، وثورة ١٩٥٢ – حتى تحقق الاستقلال السياسي للبلاد ، وحدثت تحولات ومتغيرات جديدة نتيجة لغياب التوجهات الملائمة ، وفقدان الهدف أو المشروع القومي الواحد الذي تلتف حوله الأمة ، وسعى النظام السياسي في مصر

---

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف ، القاهرة ، مكتبة الحرية الحديثة للطباعة والنشر ، ١٩٩٠ ، ص ١٩ ، ص ٥٩.

إلى التخلص من الجماعات الشبابية القومية التي تربطها أيديولوجية قوية تنبع من العقيدة الإسلامية ، بعد أن حلت الثورة الأحزاب السياسية الأخرى ، لتتخلص بذلك من كل ما يعوقها أو يقاسمها ولاء الجماهير لها، مما أدى إلى سلسلة درامية من المواجهة والعنف والخصومة بين النظام السياسي أو الدولة وبين الجماعات الإسلامية ، "كما أدى ذلك إلى تقييد الدولة لحركة الشباب ، وبدأ التخطيط للشباب والعمل الشبابي يأخذ شكل الوصاية ، بل وامتدت هذه الوصاية أحياناً لتشمل المجتمع المصري بأكمله ، ولقد أدى فرض الوصاية ورفض المشاركة ، وهدم قيم المجتمع القديم دون تأسيس فعال لسياق قيمي يقود مسيرة التنمية في مجتمع الثورة إلى خلق نوع من الفراغ[1] ، وتنامي مشاعر الاغتراب وفقدان الانتماء ومعاداة النظام السياسي لتوجهاته نحو التغريب (Westernaization) ، والعلمانية .

وقد أدى ذلك إلى بروز الجماعات السرية التي تدعو إلى الإحياء الديني كأداة للتغيير بالقوة بعد أن يئست من الحوار الهادئ مع الدولة والنظم السياسية المتعاقبة بعد الثورة وإصرارها على رفض السماح لها بإنشاء حزب سياسي أسوة بما كان لها قبل الثورة ، أو حتى على غرار الموافقة التي تمت لأصحاب الاتجاهات اليسارية في مصر بإنشاء حزب لهم ، وقد بدأت تلك الجماعات المسماة بالإسلامية بشكل سري في التكاثر بعد الثورة حتى وصلت إلى نحو خمسين جماعة أبرزها جماعات ثلاث هي جماعة الجهاد وجماعة التكفير والهجرة ، وجماعة الأخوان المسلمين الجدد . وبعد خصام دام خلال عقد الخمسينيات ، والستينيات ، والسبعينيات مع النظام السياسي في مصر أسفر القهر والرفض مع مطلع الثمانينات عن اغتيال رأس هذا النظام ومصرع أنور السادات .

وقد حسب الرافضون أو توقعوا نهاية للمواجهة ، وتحقيقاً لبعض مطالبهم في المشاركة السياسية وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وبرفض الدولة تلك المطالب ظل العنف المسلح هو لغة الحوار بين الطرفين .

ويربط علماء الاجتماع السياسي بين بروز ظاهرة العنف المسلح التي يقودها شباب تلك الجماعات في مصر ، وبين ثورة الشباب العالمية التي بدأت منذ عام ١٩٦٨م ، في فرنسا وامتدت إلى أوروبا كلها والولايات المتحدة الأمريكية والدول الاشتراكية ، وما صاحبها من تغيرات اجتماعية هائلة بفعل الوفاق العالمي بين القوتين العظميين وانتهاء الحرب الباردة ، وسقوط بعض النظم السياسية في العالم الثالث ، وتفكك الاتحاد السوفيتي وانهياره ، والاتحاد اليوغوسلافي وانقسامه ، وهبوط فاعلية حركات التحرير الوطنية لافتقادها للدعم المادي والمعنوي .

---

(١) علي ليلة : نفس المرجع لسابق ، ٦٤ .

يربطون بين تلك التغيرات الاجتماعية الهائلة على المسرح العالمي ، وأحداث العنف على أيدي بعض الشباب في مصر بقولهم :

"وأمام سقوط بعض الأنظمة وعجز البعض الآخر بدأ شباب العالم الثالث يستلهم شعارات ثورة الشباب في العالم المتقدم ، وإن كان بمضمون مختلف ، حيث قاد الشباب مظاهر التمرد والعنف والرفض مدمراً الأصول المادية لمجتمعه تحت مظلة الدين كساحة للانتظار والتجمع من أجل مسيرة الخلاص ، بينما انصرف نوع آخر من الشباب إلى المخدرات كعالم خيالي يحقق له إشباعات عجز عن تحقيقها في عالم الواقع .

ويستطردون في تحليلهم لظاهرة العنف وأسبابها في العالم الثالث فيرجعونها إلى فشل الأنظمة السياسية في تحديد مسار واضح للتنمية ، بما أدى إلى انتكاسها والحرمان من المشاركة ، واحتكار سلطة إصدار القرار بينما الشباب هم المتحملون لآثار القرار إذا تمخض عن آثار سلبية[1] ، وإلى متى يصمتون، وهم يشاهدون أحلى سنوات العمر تضيع نتيجة لعجز النظام الاجتماعي عن إشباع حاجاتهم ، بما يوفر لهم حياة كريمة وملائمة ، مثلما حدث في مصر حيث عانى كثير من الشباب من ظروف الاختناق في مستوى المعيشة ، والمسكن ، والمواصلات وممارسة حياته اليومية بشكل متوتر .

ورغم منطقية العوامل والأسباب التي أدت إلى حدوث ظاهرة العنف وتشابهها بين ما حدث في دول العالم الثالث ، واتساق الأسباب مع النتائج ، وما جرى في مصر ، ومواكبه كل ذلك لثورات الشباب العالمية منذ أواخر الستينات في مختلف نواحي العالم ، إلا أنني أختلف في إرجاع أسباب التمرد والعنف والرفض في مصر إلى عوامل المحاكاة وانتشار عدوى الرفض والتمرد لمجرد تزامن الأحداث في مصر مع عدد محدود من الحالات في مناطق أخرى من العالم . ذلك لأن مبررات ذات خصوصية أعمق ، وعوامل أكثر فاعلية لها جذورها التاريخية في طبيعة العلاقة بين الجماعات الإسلامية والدولة قبل الثورة وبعدها كانت وراء قيام العنف والتطرف كذلك فإنه لو صح تفسير المحاكاة واستلهام شعارات ثورة الشباب في العالم المتقدم لكان من الممكن أن تعم حركة التطرف والتمرد كل أو معظم بلدان العالم، وهو ما لم يحدث .

ويمكن أن نوضح الجذور التاريخية للخلاف بين الجماعات الإسلامية والدولة في مصر في إيجاز شديد بأن مرد هذا الخلاف يرجع إلى خبرات مريرة وأزمة ثقة بين هذه الجماعات والنظام السياسي في مصر عبر مراحل زمنية متعاقبة ، فمنذ الثلاثينات شاركت جماعة

---

(١) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، تأملات في ظواهر الأحياء والعنف ، مرجع سابق ص ١١ - ١٢ ، ص ٥٩ .

الإخوان المسلمين في توحيد مشاعر المصريين ودعوتهم للجهاد لطرد الاستعمار والقضاء على الفساد وكذلك فعلت جماعة شباب محمد .

وقد ظهرت هذه الجماعات في إطار من التعددية السياسية ، وحرية التعبير عن رأيها في القضايا القومية الراهنة ، حتى ولو لم يأخذ النظام السياسي بوجهة نظرها ، وبذلك حدث نوع من التراضي بين الطرفين مما جعل الإحياء الإسلامي معتدلاً غير متطرف في الالتزام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة ، ولكن مرت جماعة الإخوان المسلمين منذ عام ١٩٤٨ وحتى ١٩٨٠م بعدد من المحن وعاشت فكر الأزمة ، ورغم أن تلك الجماعة بقيادة الشيخ / حسن البنا تميزت بالاعتدال االواضح ، إلا أنها كانت في بعض الأحيان تلجأ إلى العنف لفرض رأيها على الدولة[1] – وبعد اغتيال الجماعة لرئيس الوزراء / محمود فهمي النقراشي باشا في عام ١٩٤٨ رداً على قرار حل الجماعة ، تصاعدت الأزمة باغتيال المرشد العام للجماعة الشيخ / حسن البنا – عن طريق أعوان القصر.

وبقتل زعيم الجماعة فقد الأخوان المسلمون رائد الحركة البارزة للبعث الإسلامى الحديث ، وفي عام ١٩٥٤م اتهم النظام السياسي الأخوان المسلمين بمحاولة اغتيال عبد الناصر ليزج بهم مرة أخرى في السجون ، ثم في عام ١٩٦٥م ، وفي عام ١٩٧٠م شجع النظام السياسي الجماعات الإسلامية الطلابية على القيام داخل الجامعات لتواجه الجماعات الأيديولوجية الأخرى المعادية للنظام السياسي مثل الشيوعيين والناصريين .

وفي قلب السجون ، وتحت قسوة التعذيب الذي لا يتصوره عقل ، وتحجر قلوب البشر نحو أعضاء الجماعة في محنهم المتتالية ، تولدت لدى جماعة الأخوان المسلمين والأجيال التالية من الجماعات الإسلامية مشاعر التطرف والعنف والضراوة .

وفي ظل المناخ ولد الفكر الإسلامي الحديث على يد سيد قطب من خلال كتابه الشهير "معالم في الطريق" ، وهو في مستشفى السجن خلال عقد السبعينيات حيث صنف النظام السياسي وباقي أفراد الأمة الذين لم يثوروا لسجنهم وتعذيبهم بهذه القسوة والوحشية إلى أنهم من الكفار ، وأن أفراد الجماعة المعذبين هم المسلمون الحقيقيون .

وبذلك تصاعد سيد قطب بفكر أبي الأعلى المودودي وجماعته الإسلامية في الهند بعد أن حكم قطب على الأمة والمجتمع بالكفر والجاهلية . وبذلك تطورت فكرة الإحياء الإسلامي المعتدلة بعد تصعيد المواجهات المستمرة للعنف إلى نظرية للتطرف تقوم على

---

(1) Kepel , G. : Muslim Extremism in Egypt , The prophet and pharoh , university of california press , Berkeley and Los Angelos , 1984 , p . 54.

مفهومي الحاكمية ، والجاهلية، حيث يرى مفهوم الحاكمية أنه لا سلطان إلا لله سبحانه ، لا الشعب ولا (الحزب) ولا أي من البشر ، وأن الكتاب والسنّة هما اللذان يرجع المسلمون إليهما لأي من الأمور مع جواز الاجتهاد فيما لا نص فيه – وفقاً لأصول الاجتهاد المقررة في منهج الله ذاته .

أما مفهوم الجاهلية فهي حالة تتكرر كلما انحرف المجتمع عن نهج الإسلام والدعوة إلى عدم المصالحة معها كما فعل المسلمون الأوائل .

وقد حاولت الجماعات الإسلامية الأخرى تطوير فكر سيد قطب وأبي الأعلى المودودي ونقدهما حيث شاع المؤيدون لفكرهما من خلال جماعة التكفير والهجرة ، التي قامت باختطاف الشيخ محمد الذهبي وقتله ، بينما انتقدت جماعة الجهاد هذا الفكر من خلال كتاب الفريضة الغائبة لعبد السلام فرج ، حيث انتقد كافة التيارات الإسلامية المعاصرة ، ووضع أولويات للجهاد تبدأ بالعمل على إقامة الدولة الإسلامية أولاً ، ثم تتجه للعدو البعيد بعد نجاحها في بناء المجتمع الإسلامي، ومما يذكر أن كتاب الفريضة الغائبة كان يمثل دستور هذه الجماعة المسئولة عن اغتيال أنور السادات ، من هذا العرض نجد صراعاً متواصلاً بين الدولة من ناحية وتلك الجماعات من ناحية أخرى ، أو بين النظام العلماني وبين التوجه للإحياء الإسلامي بالعودة إلى الأصول الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية والمشاركة في صنع القرار ، وسط أزمات معاصرة أخرى تزيد من معاناة الشباب مثل مشكلات البطالة ، والإسكان ، والغزو الثقافي ، والإعلام الذي يتحدى المشاعر الدينية ، وارتفاع الأسعار ، وضعف المرتبات ، وقد اتجه الإحياء الإسلامي إلى مزيد من العنف بعد مراوغة السادات له واستخدامه كأداة لتحقيق أغراضه ، ثم انقلابه على التيار الإسلامي ، والسخرية من رموزه بعد أن زج بزعمائه في السجن ، ولا يعلم الا الله ما تسفر عنه عملية التصعيد الحالية لمقابلة العنف والإصرار على أساليب التصفية الجسدية التى يبرأ منها الإسلام "إذ لا يدخل في الحساب من قريب أو بعيد ، أن يمس الإسلام من ذلك أدنى شائبة من شبهة إباحة فساد في الأرض ، فما في الدنيا من يتصور أن شريعة ما وضعية أو دينية ، يمكن أن تبيح الاغتيال والحرابة والاغتصاب ، فذلك ما لا يجوز على من له أدنى حظ من عقل ، متديناً كان أو ملحداً" ، ولا هو مما يمكن أن يصدق بإطلاقه على شريعة الغاب ، فضلاً عن أن يصدق على شريعة إلاهية خاتمة لرسالات الدين ومصدقة لها ، تمحق الفساد في الأرض وتقضى آياتها المحكمات البينات بحكم الخالق عزّ وجلّ[1] :

---

(١) عائشة عبد الرحمن : (بنت الشاطئ) الإرهاب والإعلام بين التهويل والتهوين في جريدة الأهرام – قضايا وآراء ، القاهرة مؤسسة الأهرام ، ع ٣٨٨٣٢ ، ط ٢ ، أول إبريل ١٩٩٣ م ، ص ٨.

﴿أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾(١) .

٦ – أساليب التوجية الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف :

تتخذ أساليب التوجيه الإسلامي للشباب لمواجهة التطرف ، صوراً شتى في محاولة لإدارة حوار هادف لتصحيح المفاهيم الخاطئة والتعرف على الرأي والرأي الآخر ، ومناقشة الحجة بالحجة وصولاً إلى فهم صحيح للقضايا الخلافية التي اندفع وراءها شباب المتطرفين من الجماعات الإسلامية .

بيد أنه من خلال استقراء الأحداث المتصاعدة للعنف والتطرف فإن تقييم الواقع الراهن أثبت فشل الجهود الحكومية والرسمية للدولة ، من خلال اللقاءات الدورية والزيارات الميدانية للمحافظات المختلفة التي قام بها كل من وزير الأوقاف ومفتي البلاد ، والتي شارك في تنظيمها المحافظون وقيادات الأجهزة الحكومية ؛ ولعل مرد ذلك يرجع إلى مقاطعة شباب تلك الجماعات الإسلامية للمشاركة في تلك اللقاءات في إطار التوجيهات السلبية التي تدعو إلى الانسحاب واعتزال فكر هذا المجتمع ، والنظرة إلى قيادات الدعوة الرسمية للدولة على أنها قيادات تسعى لتحقيق هوى الحاكم والمحافظة على مصالحها المرتبطة به ، بل واعتبارهم سند النظام السياسي وأتباعه ، والمبالغة في الادعاء بتكفيرهم وتكفير المجتمع لدى بعض المتطرفين .

ولهذا رغم ما بذله هؤلاء الدعاة من جهد صادق في زياراتهم الميدانية لمختلف المحافظات ، إلا أنها تحولت إلى شكل بلا مضمون حيث غابت عنها الجماعات الإسلامية الحقيقية المستهدفة لإجراء حوارات دينية متعمقة معها لحسم القضايا الخلافية .

وهناك عدة أساليب يمكن أن تحقق مزيداً من الفاعلية لتصحيح مسار العلاقة بين تلك الجماعات المتطرفة من ناحية ، والدولة من ناحية أخرى باعتبار أن الدولة تتحمل مسئولية أكبر في وجوب حرصها على طاقات الشباب وتوجيهها الوجهة الصحيحة لخير المجتمع بأسره ، حتى وإن جنحت في تصوراتها ، وليكن تقويم المسار قائماً على الفهم المتعمق والمجادلة بالحسنى حتى يحقق نوعاً من التلاقي بين الطرفين ، دون محاولة لاستخدام العنف لأنه لن يؤدى إلا لخراب المجتمع وهدم طاقاتهم البشرية والاقتصادية .

وفيما يلي نعرض لعدد من الأساليب المقترحة في هذا المجال :

أ – الحوار والمناظرة بين قيادات التيار الإسلامي والدولة :

إن ما نعنيه هنا ليس صورة مكررة للقاءات الرسمية التي قام بها مفتي البلاد ووزير الأوقاف ، وإنما صورة أخرى لدعوة كافة الاتجاهات المختلفة التي يضمها التيار الإسلامي في

---

(١) سورة المائدة : آية ٣٢ .

مصر بطوائفه المتعددة التي تزيد عن ثلاثين جماعة إسلامية أبرزها جماعة الجهاد ، والتكفير والهجرة ، والجماعات الطلابية بالجامعات ، والإخوان المسلمون الجدد وغيرهم .

وذلك على غرار اللقاءين اللذين تم عقدهما في معرض الكتاب الدولي بالقاهرة في عام ١٩٢٢م، ونقابة المهندسين بالإسكندرية عام ١٩٩٢م بعنوان "مصر بين الدولة الدينية والدولة المدنية" على شكل حوار بين أنصار التيار الإسلامي وما أسموه بالتيار العلماني . ولم تحضره أيضاً قيادات الجماعات الإسلامية الممثلة لكافة جوانب التيار الإسلامي ، كما غابت عنه قيادات الدعوة الإسلامية للدولة مثل مفتي البلاد ووزير الأوقاف ، وشيخ الأزهر .

كذلك فإنه من الأهمية بمكان كبير أن تضم هذه اللقاءات المقترحة للحوار والمناظرة شخصيات عامة تعتبر رموزاً للتيار الإسلامي المعتدل ، تحظى باحترام كافة الأطراف أمثال الشيخ / الشعراوي ، الشيخ / محمد الغزالي ، الدكتور / عبد الصبور شاهين للإسهام في مواجهة مخاطر التطرف والمغالاة بين التيارين المتصارعين بين التيار الإسلامي والعلمانية .

ب – دور وسائل الإعلام المختلفة :

للإعلام بوسائله المختلفة دور خطير في تصعيد مشكلة التطرف لدى الجماعات الإسلامية باتباع سياسات تقوم على إثارة المشاعر الدينية في وسائل الإعلام المرئية من خلال البرامج الإعلامية المثيرة والمسلسلات الوافدة من ثقافات غير إسلامية لا تدعو إلى فضيلة ، ولكنها تحمل قمة التناقض الإعلامي الصارخ ، وأوضح مثال على ذلك ما نشاهده في مصر حينما تعرض أفلام هزيلة ومسرحيات هابطة تبث قيماً غريبة على مجتمعنا وفي قلب كل ذلك يتوقف الإرسال لكي يذيع آذان الصلاة ، وأحاديث الرسول(١) ، ويؤدي ذلك بطبيعة الحال إلى نوع من بلبلة الفكر وافتقاد الهوية وإثارة الحيرة والتساؤل لدى الكثيرين ، وخاصة الشباب .

وإذا كان البعض يدافع عن المسار الحالي للإعلام المرئي والمسموع والمقروء بدعوى أنه لم يعد في الإمكان مقاومة الغزو الثقافي ، إلا أنه على المستوى الرسمي لأجهزة وسائل إعلام الدولة لا يليق أن تنقل الدولة بنفسها هذا الغزو إلى داخل كل بيت وهي تعلم "ما لوسائل الاتصال الجماهيري من قدرة سحرية على عرض الأفكار والقيم التي تعتبر عنصراً لا يستهان به في صناعة المجتمع . وقد أصبحت هذه الحقيقة واقعاً تتحدث عنه النظريات الحديثة التي تتناول العلاقة بين وسائل الاتصال الجماهيري وجمهوره"(٢) .

---

(١) محمد حسين هيكل : خريف الغضب – قصة بداية ونهاية عصر السادات ، بيروت شركة المطبوعات للتوزيع ، ١٩٨٦ ، ص ١٩.

(٢) جيهان رشتي : الأسس العلمية لنظريات الإعلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٨ م ، ص ٥٦٥ .

وتبرز في المقابل دعوة إلى قيام إعلام إسلامي ، ويقـاوم فريـق آخـر هـذ الدعـوة بـأن الدول العربية والإسلامية خصصت إذاعات خاصة للقرآن الكريم ، إلى جانب البرامج الدينية في الإذاعات ، والتلفاز، وأعمدة خاصة في الصحف لهذا الغروض ، ولكن الأمر يقتضي دون جدل أن يكون التوجه العام في كل هذه الوسائل الإعلامية توجهاً إسـلامياً ينطلـق مـن فكـر إسلامي سمح يقوم علىالقرآن والسـنّة ويفتـح بـاب الاجتهـاد في المعـاملات اليوميـة وقضايـا العصر وفقاً لقواعد الاجتهاد المنضبطة في أصول الفقه تقديراً من القائمين على الإعلام الرسمي بخطورة دوره في صياغة العقل الجمعي والوجدان وترسـيخ القيـم ، دون اسـتخفاف بـالرموز الإسلامية ، وتقويم الفهم الخاطئ لدى الشباب عن العقيدة الإسلامية .

جـ – اختيار الوسائل المناسبة للاتصال في الدعوة الإسلامية :

يعتبر اختيار وسائل الاتصال للدعوة الإسلامية أمراً ضرورياً لنجاح جهود الدعـوة في مراحلها المختلفة التي مرت بها السرية إلى العلنية ثم العالمية ، حيث تعددت وسائل الاتصـال في الدعوة لتتلائم مع كل مرحلة من مراحل الدعوة ومع كل جمهور من جماهيرها(١) .

وتشـمل هـذه الوسـائل الاتصـال الشـخصي ، والاتصـال الجمعي ، والاتصـال غـير اللفظي والرسائل أو الكتب ، والجمع ين أكثر من وسيلة في آن واحد .

ويـأتي أسـلوب الاتصـال الشـخصي المباشـر بـين الدعـاة والمدعويـن في مقدمـة هـذه الوسائل لقيامه مباشرة على الحوار والإقناع بالحسنى مما يجعله إذا تأثـير فعـال لهـذا اسـتخدمه الرسول عليه السلام في المرحلة السرية ، زالمرحلة العلنية(٢) .

وعلى الرغم من أن الدعوة الإسلامية واجبة على كل مسـلم ، الا أنـه يجـب التسـليم بأن ذلك يجب أن يتم في حدود المعرفة اليقينية للمسلم كما جاءت في الكتاب والسنّة ، وأن ترك المسائل الفقهية للدعاة المتخصصين في العلوم الشرعية ، فلكل علم رجالاته المتخصصون حتى لا يترك الأمر – كما هو الحال الآن – لكل المدعيين .

د – دور الخطابة في التوجية الإسلامي :

تعتبر الخطابة أحد أساليب الاتصال الجمعي في الدعوة الإسلامية وتلعب الخطابة دوراً خطيراً لنشر الدعوة وإبلاغها للناس ، وتزدهر الخطابة في عصـور الحريـة الفكريـة والقوليـة . "والحرية في الشريعة حرية مسئولة ولها حدودها التي لا توثر على المبدأ ، ولكنها تعني بضبـط

---

(١) محمود يوسف مصطفي : العلاقات العامة والإعلام في الإسلام ، جـدة ، مكتبة مصبـاح ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٤٢٥.

(٢) إبراهيم إمام : الإعلام الإسلامي – المرحلة الشفهية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠م ، ص ٥٢ .

إيقاع ممارسة الحرية حتى لا تؤثر على حريات الآخرين ، وعلى مصالح أسمى للمجتمع المسلم وللدولة الإسلامية(١).

وإذا كان مجال الدعوة الإسلامية قد استطاع أن يتسلل إليه في مصر في الآونة الأخيرة كثير من المدعين الذين نصبوا أنفسهم رجالاً للدعوة في غيبة دور فاعل لعلماء الدعوة والأزهر ، فإنه بات ضرورياً على علماء الإسلام في الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أن يتصدوا بقوة وسرعة لتصحيح المفاهيم الخاطئة وأساليب الإثارة غير المسئولة التي أفسد بها المدعون عقول الناس في المساجد .

و لم يقتصر دور المسجد في عصر الرسول عليه السلام على العبادة فحسب ، بل كان ملتقى العلم وخدمة المجتمع ، وتدعيم العلاقات الطيبة بين المسلمين - "والمسجد في المجتمع المعاصر يستطيع أن يقدم خدمات جليلة عن طريق الدين ، الذي كان من المرونة والصلاحية، بحيث يمكن أن يوجد حلاً لكل مشكلة ، وحكماً لكل حادثة وجواباً لكل سؤال(٢) .

هـ – أدب الحوار والمعارضة في الفكر السياسي الإسلامي :

عرف الفكر السياسي في الإسلام كل معاني الديموقراطية والمعارضة في آن واحد ذلك لأنه ليس هناك نظام سياسي لا يعرف المعارضة كحقيقة إنسانية طبيعية نابعة من عدم إمكانية إرضاء كل البشر ، وإن اختلفت النظم من حيث القدر الذي تسمح به في حرية التعبير والتشكيل والتمثيل للمعارضة ، وفي إيجاز شديد فإن حقيقة المعارضة تتركز في التعبير عن الحق الجماعي في المناقشة والتقويم لسلوك السلطة السياسية والتنفيذية والتشريعية ، وتقوم فلسفتها على تقبل الخلاف في الرأي واعتباره حقاً مشروعاً بحيث يصير من المقبول أن تتعدد المفاهيم والتصورات على الرغم من بقاء الحقيقة واحدة(٣) .

ومن ثم يرى البعض أن تغلغل القيم الدينية بما تتضمنه من شيوع لروح التسامح الإنسانية يخلق مناخاً مناسباً للتعبير عن حقيقة المعارضة . ومن أبرز ما يُستقى من الفقه الإسلامي في هذا الخصوص ذلك القول الذي ينظر إلى التقل والأرجحية لرأي من الآراء

---

(١) جعفر عبد السلام : الإطار الشرعي لنشاط إعلامي – من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، القاهرة ، بالتعاون بين مؤسسة أقرأ الخيرية ومركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي بجامعة الأزهر ، في الفترة ما بين ٣ شوال إلى ٢ ذي القعدة ١٤١٢ هـ الموافق من ٣ – ٥ مايو ١٩٩٢م ، ص ٣٥٩.

(٢) عبد الغفار عزيز : أصول الخطابة العربية بين مراحل التاريخ وفن التطبيق ، القاهرة ، دار الحقيقة للاعلام الدولي ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٦٠.

(٣) نيفين عبد الخالق مصطفي : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الملك فيصل الإسلامية ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٦٣ – ٦٦.

على أنه يمثل صواباً قد يحتمل الخطأ وأن غيره من الآراء قد يمثل خطأ قد يحتمل الصواب[١] ، وبذلك يظل الباب مفتوحاً لإمكانية المناقشة والتقويم ، وقد دعانا الإسلام لأن نلتزم بأدب الحوار في الدعوة بالكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة، والجدل بالتي هي أحسن دون عنف أو إرهاب أو قهر .

وتؤكد الآيات الكريمة ذلك في قول الحق :

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن ، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا ، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ .

*** ويمكن للقارئ الرجوع لمزيد عن رسالة المسجد في خدمة المجتمع – في :**

– مسعد الفاروق حمودة : دور المسجد في تنمية المجتمع ، القاهرة ، رسالة دكتوراه – غير منشورة – بكلية الخدمة الاجتماعية – جامعة حلوان ، ١٩٨٣ .

"والصبر" هو أحد مسالك التعبير عن المعارضة الإسلامية وهو لا يعني الموافقة أو التسليم بمشروعية الظلم ، والصبر هو مذهب الجمهور من أهل السنّة ومسلكهم في مواجهة البغي أو الظلم. وهم في ذلك يرون أن على الحاكم الظالم الوزر وعلى المؤمن الصبر ، وقد ساند مبدأ الصبر فكر الإرجاء بمعنى إرجاء الحكم على الأعمال لله سبحانه وتعالى ، ولهذا لاقي هذا الفكر تعضيداً ومناصرة من السلطة الحاكمة لأنه يضمن مصالحهم[٢] .

ولعل التطرف والعنف بين التيار الإسلامي والدولة يرجع إلى افتقاد أدب الحوار بينهما لروح التسامح التي اتصف بها الإسلام ، وكذلك حالة الخصومة السياسية بفعل التجاوزات والاتهامات المتبادلة – "فما زال الفكر العربي يعاني حالة الانفصام التى بينه وبين المؤسسة السياسية ، ما أدى إلى علاقة متوترة قائمة على الخوف والحذر المفرط ، لذا تقع المسئولية على خطاب الإعلام العربي في تحقيق المصالحة بين الرأي الفكري ، والقرار السياسي[٣] .

---

(١) محمد أبو زهرة / المذاهب الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، بدون تاريخ ، ص٢٥ .

(٢) نيفين عبد الخالق مصطفى : المعارضة في الفكر السياسي الإسلامي ، مرجع سابق ص٣٠١ – ٣٠٤ .

(٣) محمد إبراهيم الفيومي : فلسفة خطاب الإعلام العربي بين التبرير والتغيير ، القاهرة من بحوث ندوة الإعلام الإسلامي بين تحديات الواقع وطموحات المستقبل ، مؤسسة أقرأ بالتعاون مع جامعة الأزهر ، ٣ – ٥ مايو ١٩٩٢م ، ص ١٩٥ – ١٩٦.

الجزء الثالث – استراتيجية جديدة لمواجهة التطرف :

تقوم هذه الاستراتيجية لمواجهة المشكلة ، والرؤية المستقبلية لها على ما نسميه بالاستراتيجية التربوية ، والتى تعتمد على تغيير نسق الفعل من خلال تغيير نسق القيم والمعاني والتصورات لدى الشباب من خلال الخطط والبرامج التربوية المناسبة ، وتشمل العمل على إعادة النظر في أساليب التوجيه التقليدية الحالية التي تقوم على التحدث من طرف واحد دون مشاركة فاعلة لقيادات التيار الإسلامي وشبابه ، والدعوة إلى الحوار والمناظرة لإجلاء الحقيقة وتخليص فكر الشباب من شوائب التطرف والتعصب الأعمى لمقولات الادعاء بالجهاد ، والتكفير والهجرة .

وترتكز تلك الاستراتيجية على سياسات وخطط وبرامج ، تسعى جميعاً إلى تبني أساليب جديدة في التعامل مع المشكلة بأسلوب علمي عقلاني لا يعتمد على اجراءات القمع الأمني وحده، واعتبار جهاز الشرطة هو المسئول الوحيد عن تلك المواجهة ، وتبادل العنف بالعنف بين جماعة المتطرفين والأجهزة الأمنية والتربص بها ، والدخول في سلسلة من الثأر على المستوى القومي ، بل يعمل على مشاركة أفراد المجتمع أنفسهم مع أجهزة الدولة المختلفة في التصدي لمحاولتهم لتخريب الاقتصاد الوطني بضرب السياحة ومهاجمة أجهزة الشرطة كرموز لسيادة الدولة .

فلقد أثبتت التجربة "أن المتطرفين قد لا يرهبون تصدي أجهزة الأمن الرسمية لمقاومتهم ، بل يستغلونه في كسب عواطف الجماهير ويرتدون أمامها قميص الشهداء الذين تبطش بهم أجهزة الدولة لأنهم على حق، وهذه الأجهزة ومن وراءها الدولة على باطل"(١).

وتنطلق الاستراتيجية الجديدة من فكرة مفادها أن يتم عزل تلك الجماعات عن قياداتها الفكرية المخططة للتخريب والتطرف ، ذلك لأنها هي العقول المدبرة التي تصدر الفتاوى للشباب باستجابة تلك الأفعال المدمرة ، سعياً لتحقيق مآربها الخاصة للتغيير بالقوة والعنف .

وترتكز هذه الاستراتيجية على ثلاثة محاور وهي :

أولاً : تصحيح المفاهيم الخاطئة المتصلة بالعقيدة الإسلامية وأحكامها في مجال الدعوة وأساليبها ، والتربية الدينية ، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، من خلال الحوار البناء والمناظرة الهادفة بين أقطاب الدعوة الإسلامية من العلماء والدعاة وبين قيادات وطوائف الشباب من التيار الإسلامي حول كل القضايا الخلافية التي يكثر الجدل والاجتهاد حولها .

---

(١) المجالس القومية المتخصصة : تربية المواطن السوي ومواجهة الانحراف والتطرف ، مرجع سابق ، ص ١٧٩ .

ثانياً : حل المشكلات الاجتماعية التي هيأت المسرح السياسي للتطرف في المجتمع المصري مثل مشكلات البطالة ، والإسكان ، وضعف المرتبات وارتفاع الأسعار ورفض الدولة السماح بإقامة حزب للجماعات الإسلامية ، وحصول بعض الطوائف المهنية على امتيازات دون غيرها مثل (القوات المسلحة، الشرطة ، والقضاء ، والإعلام ، والسلك السياسي وغيرهم) .

مما أثار تبايناً وصراعاً بين النقابات المهنية أدى إلى بروز ما يعرف في علم الاجتماع السياسي بجماعات الضغط .

ثالثاً : إعادة النظر في سياسات العمل الإعلامي بوسائله المختلفة المسموعة والمرئية والمقروءة، وصياغتها صياغة إسلامية وغربلة برامجها ومحتوياتها للابتعاد عن الإثارة والابتذال والاستخفاف بالرموز الدينية ، والدعوة لاستتباب القيم والفضائل التي تحفل بها العقيدة الإسلامية ، والإسهام في تكوين الشخصية الإسلامية السوية بعيداً عن التطرف والعلمانية في آن واحد .

ومع تقديرنا لكثير من الكتابات التي طرحها نخبة من الصفوة الفكرية بالمجتمع فإن هناك بعض المقولات التي تندرج تحت التفسير السوسيولوجي لمشكلة التطرف تستحق التأمل والتحاور معها ونقدها نقداً موضوعياً وهي :

١- القول بأن غياب القيادة الكارزمية لظاهرة الإحياء الإسلامي من العناصر التي عطلت دائماً عملية اكتمالها ، نتيجة لعدم وجود القيادة القادرة على تطوير تصور شامل جغرافياً وتاريخياً يحدد الأهداف العامة للإحياء والاستراتيجيات أو التكتيكات اللازمة لتجسيده ، فعلى خلاف الحركات الثورية ذات المركز الواحد ، الذي تقوده شخصية أو جماعة كارزمية نجد حركة الإحياء الإسلامي متعددة المراكز وتفتقد القيادة الكارزمية المركزية(١) .

ونحن نختلف في اعتبار حركة الإحياء الإسلامي ذات خصوصية معينة تختلف عن الحركات الثورية الأخرى نتيجة لتعدد مراكزها ، إذ إن هذا التعدد على مستوى العالم الإسلامي هو نتيجة لتباين الأسباب الدافعة إلى الثورة ، ودرجة الوفاق أو الاختلاف بين الجماعات الإسلامية والدولة .

ولهذا لا يمكن تصور وجود قيادة لشخصية أو جماعة كارزمية تقود الحركة في آن واحد في أرجاء العالم الإسلامي ، وإنما تتوالد قيادات موقفية متعددة في كل مجتمع وفقاً لتصاعد الأزمات مع الحكومات والنظم السياسية .

---

(١) علي ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

وعلى ذلك فهذه القيادات بتشخيصنا الراهن لها هي قيادات الأزمات أو ما يمكن أن نسميه أزمة الفكر ، فكر الأزمات التي لم تنضج بعد لتكون شخصية أو جماعة كارزمية بمفهوم علم الاجتماع السياسي .

٢- الادعاء بأن الثورة الإيرانية قد قدمت للحركات الإسلامية مثالاً عملياً للثورة الإسلامية النموذجية في العصر الراهن ، وبذلك مثلت دفعة هائلة لحركة الإحياء الإسلامي في المجتمعات الإسلامية(١) .

وعلى الرغم من المبالغة اللفظية حول فكرة "النموذجية" التي تختلف عن مفهوم النموذج في الدراسات السوسيولوجية ، إلا أن المتأمل لقيادة الثورة الإسلامية في إيران يلحظ أن حركة الإحياء الإسلامي فيها قامت على أكتاف فقهاء الدعوة وفقهاء الحوزة العلمية في قُمْ ، التي تولت أيضاً التخطيط لحشد الجماهير وتحريكها للإطاحة بالحكم(٢) .

وهو أمر يختلف عن حركة الإحياء الإسلامي في المجتمع المصري التي تقوم على جماعات متعددة متباينة الفهم لأسلوب الدعوة الأمثل من غير المتخصصين فيها .

كذلك فإن الثورة الإسلامية الإيرانية قد فقدت مثاليتها في حربها الطويلة مع العراق وتكفيرها للمذاهب الإسلامية الأصلية لأهل السنة والجماعة ومحاربتها لفكر السنة والعمل على نشر المذهب الشيعي في مختلف أنحاء العالم – ولا يخفى على أحد أن مصر لم تكن ولن تكون مسرحاً للفكر الشيعي، مما يجرد هذا النموذج من مساعيه المشبوهة لتصدير الثورة الإسلامية الإيرانية بفكرها إلى مصر والجزائر وغيرها .

٣ – القول بأنه "على الرغم من أن الجماعات الإسلامية قد نشأت داخل أسوار الجامعات إلا أنها كانت تهدف أساساً إلى نقل المجتمع الخارجي من مجتمع جاهلي إلى مجتمع إسلامي – وقد بدأت فاعليتها تمتد إلى ما بعد أسوار الجامعة من خلال حدثين كبيرين هما تنظيم صلاة الفطر ، وصلاة عيد الأضحى في أماكن مفتوحة تضم آلاف المصلين كنوع من استعراض القوة في مواجهة النظام السياسي(٣) .

ونحن نختلف مع هذا التحليل في نقطتين جوهريتين : النقطة الأولى هي الموافقة على ما يدور في خلد وفكر تلك الجماعات التي تتهم المجتمع بالجاهلية والسعي إلى نقله من حالة الجاهلية إلى وضع المجتمع الإسلامي – على حد زعمهم – وكما يعرف الكاتب فإنه ليس من حق أحد أن يكفر المسلمين لمجرد اختلافهم معه في الرأى أو عدم تأييده .

---

(١) السيد زهرة : حركة الاحياء الإسلامي ، مؤشرات ودوافعها ، السياسية الدولية ، ع ٦١ ، يوليو ١٩٨١م ، ص ٨٨ .

(٢) فهمي هويدي : إيران من الداخل ، القاهرة ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ١٩٨٧م ، ص ٤٥ .

(٣) على ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٤٥١ .

أما النقطة الثانية فتتعلق بتفسير الكاتب إلى امتداد فاعلية الجامعات الإسلامية إلى خارج أسوار الجامعة مستشهداً على ذلك بإقامة صلاتي العيدين في الساحات والميادين كأماكن مفتوحة – تضم آلاف المصلين ، مفسراً ذلك – على حد قوله – بأنه نوع من استعراض القوة في مواجهة النظام السياسي .

ونحن نختلف معه في هذا التفسير الذي ذهب إليه كما هو معروف شرعاً فإن صلاة العيدين طبقاً للسنّة يجب صلاتها في الأماكن المفتوحة وليس في المساجد ولهذا فإن سعي الجماعات الإسلامية لتنظيم ذلك هو محاولة لتطبيق الشريعة الإسلامية وفقاً لأصول العبادات، وكسباً للمشاعر الدينية من الجماهير وتعاطفها مع الحس الديني وليس استعراضاً للقوة في مواجهة النظام السياسي طبقاً لتلك المقولة.

٤ – القول بأن "حركة الإحياء الإسلامي المعاصرة تفتقر إلى وجود المشروع الاجتماعي الحضاري الإسلامي مما أدى إلى تقييد انطلاق الحركة ، وبرغم ذلك فقد بدأت بعض إرهاصات لصياغة مشروع اجتماعي حضاري إسلامي (كذلك الذي قدمه أبو الأعلى المودودي ، سيد قطب ، باقر الصدر) – والقول بأن الثورة الإيرانية قد بدأت تفرزه من خلال تفاعلاتها ، ويبقى أن تتفاعل هذه الاقترابات المتنوعة لكي تنتهي في النهاية إلى صياغة المشروع الاجتماعي والحضاري والإسلامي – الذي يتفق عليه الجميع والذي يتحرك أيضاً بحمية إلى تجسيده"(١) .

وإذا كنا نسلم بأن غياب المشروع الاجتماعي الحضاري عن حركة الإحياء الإسلامي المعاصرة هو سمة بارزة بالإضافة إلى الحد من قدرتها على الانطلاق ، إلا أننا لا نتفق مع رأي الكاتب بأن الثورة الإيرانية قد بدأت في إفراز هذا المشروع من خلال تفاعلاتها ، ذلك لأن هذه الثورة قد شوهت صورة حركة الإحياء الإسلامي أكثر مما أفادتها، وذلك من خلال التحليل الدقيق لدورها في الأحداث المؤسفة التي شجعت فيها جماعة من المتطرفين على الاستيلاء على الحرم المكي الشريف في اليوم الأول من القرن الرابع عشر الهجري الموافق ٢٠ نوفمبر عام ١٩٧٩م – رغم تظاهرها بالبراءة – وحشد جنسيات إسلامية أخرى لتنفيذ تلك المؤامرة . هذا بالإضافة إلى تورطها في الحرب الأهلية في لبنان ، وتمويل الجماعات الإسلامية المتطرفة في مصر والجزائر .

وحتى لو غضضنا الطرف عن تلك الأدوار المشبوهة ، فإن انبثاق المشروع الاجتماعي والحضاري الإسلامي المرتقب من إيران بالذات لن ينال قبولاً جماعياً أو اتفاقاً عليه لتجسيده إلى واقع مأمول ، ذلك لأن حساسية الاختلافات المذهبية الجذرية بين فكر الشيعة (في إيران) وفكر السنة في الدول الإسلامية الأخرى سوف تحول دون تحقيق أدنى اتفاق عليه .

---

(١) علي ليلة : الشباب في مجتمع متغير ، مرجع سابق ، ص ٤٦٨ .

وهذا يظل هذا التوقع لرؤية المستقبلية لحركة الإحياء الإسلامي أملاً بعيد المنال في ظل هذا التفسير . ويظل البديل لهذا الخيال ،وهو أن تنهض إحدى الأمم الإسلامية لدعوة كافة دول العالم الإسلامي إلى مؤتمر عالمي للدعوة الإسلامية لوضع استراتيجية شاملة لها ، ولمشروع اجتماعي حضاري للأمة الإسلامية تلتف حوله كل الدول والمجتمعات الإسلامية تؤازره وتعمل على تنفيذ دورها في إطار استراتيجية موحدة ومشروع متكامل يقدم نموذجاً للتنمية الإسلامية الشاملة بديلاً عن نماذج التنمية الغربية التي أخفقت في إشباع احتياجات الشباب .

ولعل كلا من مصر والمملكة العربية السعودية هما الدولتان المهيأتان للقيام بهذا الدور معاً أو إحداهما ، بعلمائها ودعاتها ، فكر السنّة والجماعة الذي يسود كلاً منهما ، وإمكاناتها ، ومكانتها في التاريخ الإسلامي .

والله من وراء القصد والهادى إلى سواء السبيل